

الحلقة الواحدة والسبعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما زلنا مستمعي نتأمل بحديث المخلص المسيح عن فرقة الفريسيين اليهودية المتمتة. وكنا قد استعرضنا بعض أقواله التي كشف فيها حقيقة نفوسهم الفاسدة ومرآتهم. وكيف أنهم يحاولون الظهور بمظهر حسن وجيد أمام الآخرين بينما هم في الحقيقة مملوون بكل شر ونجاسة.

وتابع المخلص المسيح موجهاً كلامه إلى الكتبة والفريسيين قائلاً: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ! لِأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاكُمْ فِي دَمِ الْأَنْبِيَاءِ. فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ. فَاْمَلُوا أَنْتُمْ مِثَالِ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادِ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذَلِكَ هَا أَنَا أَرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكُتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصَلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمِ زَكِيٍّ سَفِكَ عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلُّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا الْجِيلِ!» (بشارة متى ٢٣: ٢٩-٣٦). إنها بالحق تهمة خطيرة وجهها المسيح لأولئك الكتبة والفريسيين أنهم يشاركون في جريمة قتل أنبياء الله والمرسلين.

مستمعي الكريم، كان الفريسيون يمتدحون الأنبياء الذين أرسلهم الله لبني إسرائيل قديماً، ويعيدون ترميم مدافنهم ويزينونها. ويدعون أنهم لو كانوا مكان آبائهم لما شاركوهم في قتل الأنبياء. فقال لهم المسيح: إنهم بذلك يقرّون أنهم أبناء قتل الأنبياء. وأن الحقيقة هي عكس ما يدعون.

لم يسلك الفريسيون في جادة الصواب بحسب تحذيرات الأنبياء رغم زخرفتهم لقبورهم. وبرهنوا بموقفهم الحالي نحو المسيح المخلص الملك، أنهم كانوا من نفس الروح مثل آبائهم الآثمين. مع أنهم كانوا يتبجحون بالعكس. لقد وصلوا إلى ملء قامة آبائهم في رفضهم للمسيح، ولهذا كانت الدينونة تنتظرهم. ولهذا قال لهم المخلص المسيح: «فَامَلُّوا أَنْتُمْ مِثْلَ آبَائِكُمْ». فماذا قصد المسيح بهذا القول؟ لقد ملأ الآباء كأس القتل جزئياً بقتلهم الأنبياء. أما الكتبة والفريسيون فسيملأونها حتى الفيض بقتلهم الرب يسوع المسيح نفسه وتلاميذه. أي يملأون كأس القتل حتى الثمالة. وهكذا يوصلون ما بدأه آباؤهم إلى خاتمة مريعة.

لقد رفض بنو إسرائيل قديماً الأنبياء جميعاً واضطهدوهم، وسيفعل أحفادهم من الفريسيين نفس الشيء بأولئك الذين يوبخونهم على خطاياهم، فهم لم يكونوا مختلفين عن آبائهم. ولهذا قال لهم المسيح: «أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادَ الْإَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟» أي كيف تهربون من دينونة الله عليكم. وهنا نجد أن المسيح لم يتنبأ عن تأمر الفريسيين لصلبه وقتله فحسب، بل أخبرهم أيضاً أنهم سيقتلون بعضاً من تلاميذه ورسله. وسيجلدونهم في المجمع اليهودية ويطردونهم. وهو الذي حصل فعلاً بعدئذ مع تلاميذ المسيح، حيث اضطهدهم اليهود وطاردهم من مدينة إلى أخرى.

وهكذا سيجلب قادة اليهود من الفريسيين والكتبة ورؤساء الكهنة على أنفسهم ذنب استشهاد كل الأنبياء والقديسين المتراكم على مدى التاريخ. وسيأتي عليهم بالتالي كل دم زكي سُفِكَ على الأرض. من دم أول قتيل هابيل الصديق الذي قتله أخوه قابيل، إلى دم زكريا بن برخيا الكاهن الذي قُتِلَ بين المذبح والهيكل. إن زكريا بن برخيا الكاهن هو ليس النبي زكريا كاتب سفر زكريا من كتب العهد القديم. فقد ارتد الشعب في أيام الملك يواش. وأرسل الله أنبياء لإرجاعهم إلى الرب لكنهم لم يصغوا. وتكلم روح الله من خلال زكريا الكاهن وحذرهم، فتآمروا عليه ورجموه بالحجارة في دار الهيكل بأمر من الملك نفسه.

صديقي المستمع لنلاحظ قول المسيح للفريسيين: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلُّهُ يَأْتِي عَلَيَّ عَلَى هَذَا الْجِيلِ!» أي أن كل ذنوب الماضي التي أرتكبت سيأتي على هذا الجيل الذي كان المسيح يتكلم معه. وكأن كل إراقة دماء الأبرياء من الأنبياء والصديقين في السابق قد اجتمعت وبلغت ذروتها في مجيء المخلص المسيح القدوس. لقد تنبأ المسيح بذلك عن الدينونة الشديدة التي ستصيب على اليهود الذين أبغضوا المسيح وتآمروا عليه وصلبوه بلا سبب. وبذلك أكد المسيح للفريسيين أنه هو المسيح الذي وعد به الله منذ القديم، والذي كان الشعب ينتظره. وما الدينونة التي ستقع عليهم إلا دليلاً أكيداً وبرهاناً ساطعاً على حقيقة شخصيته الإلهية.

ثم تابع المسيح حديثه متتباً عن تفاصيل هذه الدينونة الشديدة التي ستقع على اليهود الذين رفضوه. هذه الدينونة التي حصلت فعلاً بعد موت المسيح الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات، وخلال ذلك الجيل نفسه الذي تحدّث عنه المسيح. وهو ما سنتأمل به في اللقاء القادم.

مستمعي الكريم، إن حديث المخلص المسيح عن جماعة الفريسيين المتزمتة ومراءتهم وعداوتهم له، يؤكد حقائق هامة علينا أن ننتبه إليها جميعاً. ألا وهي أولاً: أن لا نكون مثل أولئك الفريسيين، نعيش حياة التدين الظاهري، وحياة المراءة الدينية. بل نسعى لكي يكون تديننا من القلب من الداخل.

وثانياً: أن الإيمان بالمسيح هو الأمر المهم الذي يجب أن نلتفت إليه. فإما أن نكون مع المسيح ونقبل خلاصه فننجو، أو أن نرفضه فتقع علينا الدينونة. إن شخص المسيح وعمله الكفاري من أجلنا على الصليب هو الأساس، ولا نستطيع أن نتجاهل هذا الأمر أو أن نكون على الحياد.

وماذا عنك مستمعي؟ هل ما زلت تعيش حياة المراءة فتُظهر عكس ما تعيشه حقاً؟ أو لا ترغب أن يكون تدينك تديناً حقيقياً ومن القلب؟ وهكذا تعكس في حياتك وسلوكك حقيقة ما يعتمل في داخلك؟ لم لا تأتي الآن بالإيمان إلى المخلص المسيح فتجد عنده الخلاص الكامل والأبدي؟